الدلالة على اسم الله تعالى الرحمن

قوله: { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى } (طه:5-7) . شرح: هذه الآيات من سورة " طه " دالة على صفات: الأولى على اسم الرحمن، وأنه على العرش استوى استواءً يليق به، (ونؤجل الكلام على الاستواء حتى تأتينا الآيات التي فيها ذكر الصفات ومن جملتها هذه الآية). { لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ } (طه:6) هذه أيضًا من صفات الكمال { لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ } (طه:6) ملكًا وخلقًا وعبيدًا، وإذا قلت: لماذا عبر بـ (ما) التي لغير العاقل { لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ } مع أنه ورد في آيات { لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ } (الحج:18) . فالجواب أن (ما) قد تأتي للعاقل كقوله تعالى: { وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا } (الشمس:5) أو أنه عبر بـ(ما) نظرًا للكثرة؛ فإن (ما في السماوات وما في الأرض) يدخل فيه الدواب والحيوانات، ودواب البحر، ودواب البر، والطيور والوحوش، وجميع المخلوقات، ويدخل فيه النباتات مع اختلافها، ويدخل فيه الجمادات: الجبال والأودية، والدور والقصور والأشجار، وما أشبه ذلك؛ فلذلك قال تعالى: { لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا } (طه:6) أي: ما بين السماء والأرض من المخلوقات، وما بين السماوات من المخلوقات كل ذلك له ، ومعنى كونها له، أي: ملك له، وهو الذي خلقها وأوجدها، وهو الذي يفنيها إذا شاء، ويغيرها ويبدل فيها ما يشاء؛ ويتصرف فيها كما يشاء، يمنع ويعطي، يريش ويبري، يميت ويحيي، يخفض ويرفع، يصل ويقطع، يتصرف فيها فهي إذا له؛ أي ملكه. { لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى } (طه:6) قيل: الثَّرى هو التراب الذي فيه النداوة والرطوبة، ففسر ما تحت الثرى تحت التراب، أو ما تحت التراب الندي بالمياه في جوف الأرض، ولا يعلم ما تحته إلا الله، أو ما تحت الأراضين مع سعتها له كل ذلك. { وإن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى } (طه:7) هذا أيضًا من الصفات، يعني أنه - سبحانه - يعلم سر الأمر وخفيه. السر: ما يضمره الإنسان و يكنه في نفسه، أخفى من السر: ما لم يخطر في باله، ولكن علم الله أنه سيخطر في باله فيما بعد، وسيحدث به نفسه، أو سيفعله، وإن لم يكن قد نواه يعلم ذلك كأنه قال: إن تجهروا أو تخفوا لا يخفى عليه أمركم، والجهر: هو رفع الصوت، وإن تجهر بالقول يعني: وإن جهرت بالقول، أو أسررت به فالجميع مسموع لله تعالى ومعلوم له. ثم وحّد نفسه { اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى } (طه:8) كلمة (لا إله إلا الله) لها شروط، ولها أركان، ولها دلالات يطول بنا أن نفصلها، وشروحها -والحمد لله- واضحة، ومعناها: لا معبود بحق إلا الله . وقد ذكرنا أن الأسماء الحسنى عامة فيما سمى الله به نفسه من الأسماء، أو ورد في الأحاديث الصحيحة.